

المطلب الاول: حقوق الإنسان في حضارات العراق القديمة

يعدّ العراق مهد الحضارات البشرية وبرزها أهتماماً بحقوق الإنسان ، إذ يذكر المختصون بتاريخ العراق القديم بأن أولى القوانين المكتوبة في تاريخ الإنسانية قد ظهرت هناك على اثر الاعراف والتقاليد التي من ابرزها هو وجود مجلس للشيوخ ، من ابرز اختصاصاته هو القيام بتأليف القوانين بناءً على الموروث العرفي الذي درج عليه الناس في ادارة شؤونهم ، ووصفت هذه القوانين بالتطور الذاتي على صعيد نظرية حقوق الإنسان.

فيظهر مقدار الرقي الذي وصلت اليه هذه الحضارة، حيث أشارت النقوش الأثرية لألواح القوانين ان حقوق الإنسان لم تكن مجهولة في الفكر القانوني والعرفي ، فالحرية والعدالة والمساواة ووضع التشريعات الكفيلة بحمايتها كانت من الافكار الاساسية التي جسدتها القوانين المكتوبة، ويذكر انه اقدم وثيقة لحقوق الإنسان كانت سومرية^(٣).

وان القانون والعدالة والحرية من اساسيات الفكر العراقي القديم ، وان كلمة حرية (أماركي) قد وردت في نص سومري لأقدم وثيقة عرفها العالم القديم تشير صراحةً الى اهمية حقوق الإنسان وتأكيداً على حرّيته وبرفضها كل ما يناقض ذلك^(٤).

ويعدّ إنسان وادي الرافدين أقدم مشرّعي أحكام العدالة من الحضارات الاخرى كالفرعونية والاعريقية والرومانية، فقد وضع تصوراته عن العدالة والظلم في صميم نظرية الآلهة والكون والإنسان، فالعراقيون القدامى يحتفلون في العشرين من كل شهر بعيد مكرّس لأله العدالة(شمس) الذي أنجب في اعتقادهم ولدين هما (كيتو) و(ميتساو) أي العدالة والحق.

ومن الحكم السومرية القديمة البليغة القول:(لا يوجد شيء يرقى الى مستوى العدالة فإنها هي التي تسمح بازدياد الحياة وتطورها)، ومن النصائح الموجهة الى الحكام بالتزام العدالة والتي عثر عليها في مكتبة (آشور بانيبال ٦٦٨-٦٢٦ ق. م) والتي تهدف الى حماية حقوق المواطنين آنذاك تقول : (اذا لم يعبأ الملك باقامة العدل ، فستعم الفوضى شعبه وتخرّب بلاده).

يقول(كريمير): ان في بلاد سومر كان يقطن شعب يعيش في ارقى الحضارات في العالم، وان اول سابقة قانونية في مجال حماية حق الانسان في الحياة والمحاكمة العادلة وفي احترام حق الدفاع ، وتأكيد الحرية في حدود القانون كانت معروفة لدى السومريين (في الألف الثالث ق. م)^(٥).

كما ان حقوق الافراد في المجتمع السومري تحضى بمساحة واسعة واسهامات عديدة ومهمة تدعم الأساس القانوني والدستوري لحقوق الإنسان، وفي اعتقاد العراقيون القدامى ان اقرار العدل والنظام من اهم واجبات الملك لأن الآلهة تحب العدل وتمقت الظلم ، كما يعتقدون ان: (الملك ان لم ينشر العدل فان رعيته ستثور عليه ومملكته ستتهوى ومصيره سينقلب والبلية تلاحقه)^(٦).

اما النظام الاجتماعي في المجتمع العراقي القديم فينقسم الى طبقتين هي:

- (١)- طبقة الحكام: وتضم ثلاث فئات هي الفئة الدينية ، والفئة البيروقراطية ، وفئة العسكريين.
- (٢)- طبقة المحكومين: وهم الخاضعين لقرارات الطبقة الحاكمة ، وينقسمون الى فئات اجتماعية ميزتها عدم المساواة في الحقوق والواجبات فيما بينهم وهي:

(أ)- فئة الاحرار : وهي قمة هرم المحكومين، لها امتيازات وحقوق وضمانات اعلى من بقية الطبقات.

(ب)- الفئة الوسطى (المشكينوم): وهم اصحاب الحرف وهم عامة افراد المجتمع.

(ج)- طبقة العبيد (الرقيق): وهي الطبقة الدنيا في المجتمع، وهم عديمي الحقوق والارادة في نظر القانون، حيث ينسب الرقيق الى سيده وليس الى أمه أو أبيه^(٧).

وفيما يتعلق بالحقوق السياسية فإن الوثائق التاريخية تؤكد عن ان نظام الحكم في العراق القديم لم يكن مطلقاً، إذ كانت هناك مجالس عامة تشارك الحكام في ممارسة السلطة، فالبرلمان العراقي القديم كان مكون من مجلسين هما مجلس الشيوخ ومجلس المحاربين^(٨).

وقد ظهر عمل اصلاحي واربعة قوانين مدونة في الحضارات العراقية القديمة، تتضح فيها بعض ملامح حقوق الإنسان، والجدير بالذكر ان هذه المدونات أو القوانين قد سميت باسماء الملوك الذين وضعوها وهي:

١- قانون اورنمو .

٢- قانون لبت عشتار.

٣- قانون مملكة اشنونا.

٤- قانون حمورابي.

وهناك عمل اصلاحي يكاد يكون قانونا لولا خلوه من المقدمة والخاتمة، وهو الاصلاحات المنسوبة الى العاهل السومري (اوركاجينا) (حاكم لكش في القرن الرابع والعشرين ق.م)، والتي تعد أقدم وثيقة تاريخية تشير صراحةً الى اهمية حقوق الإنسان، والتأكيد على حرته، فقد عثر في مدينة الشطرة جنوب العراق على لوح سومري يضم هذه الاصلاحات والتي تدعو للقضاء على التمايز الاجتماعي بين الفقراء والاعنياء، وازلة الظلم والاستغلال الواقع على الفقراء من قبل الاغنياء والمتنفذين ورجال المعبد حيث ورد نص يقول: (بيت الفقير صار بجوار بيت الغني)^(٩).

وقد قام هذا العاهل بالفعل بوضع القوانين التي توفر للشعب الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة^(١٠)، ومن إصلاحاته ايضاً تحريم الزواج بأكثر من زوجة، وفرض عقوبه الموت على من يخالف ذلك، ومنع الاغنياء والكهنة والمرابون من استغلال الناس الفقراء، ومنع ضربية دفن الموتى وحاسب الكهنة عليها، وعاهد الآله بانه (لن يسلم الضعيف والأرملة الى القوي).

وأكد هذا العاهل تأييده لطبقة المحاربين وطبقة جماهير الشعب من رفع عنهم أظهاد الكهنة وجباة الضرائب، وانقص الضرائب التي فرضها الكهنة في حوادث الاحوال الشخصية، وفي مقدمتها الزواج والطلاق، ووضع حداً لإستحواذ طبقة الحكام على أملاك المعابد، وتحديد سلطات الطبقة الحاكمة، وعمل على معالجة الجرائم، وتنظيم العقوبات الخاصة بها، واهتم بالأحوال الشخصية مثل تحريم زواج المرأة من رجلين في آن واحد، وأمر بالعفو عن المسجونين والموقوفين بسبب ديونهم السابقة، أو لسبب أستحقاق الضرائب عليهم الى السلطة الحاكمة، وفرض الرجم على السارق، ومن مواد اصلاحات هذا العاهل:

أذا أراد وجيه (متنفذ) شراء حمار أو بيت يعود الى فقير ،فبأستطاعة الفقير ان يطلب الثمن الذي يريده من الوجيه، وعلى هذا الوجيه ان يدفع الثمن بنقود معتمدة، ولا يستطيع بأي حال من الاحوال أن يضطهد الفقير اذا رفض البيع^(١١).

١-قانون اورنمو: هو مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٩٥ ق.م)، ويجمع الباحثون على ان قوانينه هي أقدم النصوص القانونية المكتشفة في الفترة (٢٠٥٠ ق.م) من حكمه في مدينة نمر، عالجت شريعته المكونة من (٣١) مادة عدد من حقوق المرأة المتزوجة والمطلقة،ومسألة الاحوال الشخصية من زواج وطلاق وأرث ومعالجات لأحوال العبيد وحالة هروبهم وعتقهم ،وانه وطّد أمر العدالة ورفع الظلم والبغضاء^(١٢).

وقد لُقِّبَ بـ (منظم العدالة) في سومروأكد، وابنه العاهل (أوشكي)لقب بملك العدالة الذي قدّم نفسه بأعتبره الذي جعل العدالة تسود طبقاً للقوانين^(١٣).

٢-قانون لبت-عشتار :

هو خامس ملوك سلالة أيسن الأمورية (٢٠١٧-١٧٩٤ ق.م) حكم في بداية العهد البابلي القديم ، دَوّنَ قانونه عام (١٩٣٤-١٩٢٤ ق.م) ، سبقت شريعته شريعة حمورابي بقرنين من الزمان وقد دَوّنها باللغة السومرية والخط المسماري ،ويعدُّ هذا القانون ثاني أقدم قانون ،وقد وجدت على سبع قطع ، تضمنت المقدمة والخاتمة وسبع وثلاثين مادة ، جاء في احد هذه القطع: (عندما عززت رفاهية بلاد سومر واكد أقمت هذه المسلة)^(١٤).

وقد أوضح في مقدمة شريعته قائلاً: (...وعندما دعيا الالهان (انو و أنليل) لبت عشتار الراعي الحكيم المنادى من قبل الاله (نو- نام نر) لامارة البلاد وتحقيق العدالة فيها ولمعاقبة الظالم ولرد العداوة وكل عصيان مسلح) ، ثم يضيف (...وأنا اللانق لقلب الاله (أينانا) ، وقد وطدت العدالة في سومر واكد وفقاً لأمر الاله(انليل)، ويضيف ايضاً: (وعندما اقيم العدل في بلاد سومر وأكد ...) ، ويفتخر بأفعاله بقوله: (فخور أزاء العظام .. طيب أزاء الورعين..لقد أقمت القانون واطلقت حرية الناس أنا لبت -عشتار انا الذي جعلت العدالة تزدهر)^(١٥).

وان هذا الملك قد وطّد العدالة ونشر القانون المكتوب ،ومنع الظلم وانصف الفقير واعان الضعيف ونظّم حقوق الناس ،وشؤون العبيد ،ونظّم الضرائب وشؤون المرأة الزوجة الحرّة،وحقوق الزوجة الأمة وحقوق الاولاد والأرث ،والقضاء على الأوضاع المتردية وسوء الإدارة وفساد الموظفين^(١٦).

٣-قانون مملكة اشنونا:

تم العثور على الواح من قانون مملكة أشنونا من خلال التنقيبات التي قامت بها المؤسسة العامة للآثار في تل حرميل في بغداد الجديدة سنة ١٩٥٤ ، حيث عثر على لوحين خلال التنقيبات، ومملكة أشنونا هي احدى الممالك الأمورية التي قامت على أنقاض سلالة أور الثالثة، وهذا القانون من اقدم القوانين المكتوبة باللغة الأكديّة ،يسبق قانون حمورابي بـ (٥٠ سنة) وضعه الملك (بلالاما) عام (١٩٩٢ ق.م) ،وهو احد ملوك اشنونا البارزين.

تصل مواد هذا القانون الى ٧٠ مادة قانونية عالجت ،قانون الأسرة ،وحقوق الزوجة والزوج ،وحق الزوج العائد من الحرب بأستعادة زوجته وان كانت قد تزوجت وانجبت ،وحقوق الأسير ومصير امواله ،وتنظيم العقود القانونية والاحوال الشخصية، وامور العبيد ،وفرق هذا القانون

بين الرقيق الاجنبي والرقيق المحلي ،فالأول لاينتهي الا بعق السيد لعبده طوعاً والثاني فانه مؤقت ينتهي بانتهاء المدة القانونية التي حددها القانون^(١٧) .
٤-قانون حمورابي:

وضع هذا القانون الملك الشهير حمورابي أشهر ملوك بابل، وهو مؤسس سلالة بابل الأولى (١٨٩٤-١٥٩٤ ق.م)، وقد استهلّت مسلته الشهيرة بكلام آله الشمس الذي أملى عليه مدونته حيث يقول: (انا حمورابي ملك القانون ،وأياي وهبني اله الشمس القوانين)^(١٨) ، وفي المقدمة حدد أعماله وأسباب اصداره القانون بأنتدابه من قبل (الاله مردوخ) ليحكم مدينة بابل، وينشر العدل بين الناس ،ويذكر صراحة ان هذه هي الاحكام العادلة التي اصدرها حمورابي الملك العظيم للبلاد فأزدهرت البلاد وانتشر العدل والحكم الصالح ، وورد في المقدمة قوله : (انا حمورابي محبوب عشتار، حينما امرني (مردوخ) بان اجري العدل بين سكان البلاد ولأجعلهم يحصلون على حكم رشيد ، نشرت الحق والعدل في طول البلاد وعرضها ، وجعلت الشعب يزدهر)^(١٩) .

وقد اوضح حمورابي بقوانينه وتشريعاته انه مرسل من الآله (مردوخ) لقيادة البلاد في الطريق السوي و:(أنا حمورابي الامير التقى الذي يخشى آلهته، لأوطد العدل في البلاد، ولأقضي على الخبيث والشر، لكي لايستعبد القوي الضعيف ولكي يعلو العدل كالشمس فوق الرؤس السود...حمورابي الذي يجعل الخير فيضاً وكثرة...المنقذ لشعبه من البؤس...الذي ساعد على اظهار الحق ..انا حمورابي وضعت القانون والعدالة بلسان البلاد لتحقيق الخير للناس.... حمورابي السيد الذي هو اشبه بالأب الحقيقي للشعب الذي يضمن النجاح للشعب الى الابد)^(٢٠) .
وتشريعاته هي تدوين للاعراف السائدة في عصره ،اعتمد على قاعدة (العين بالعين والسن بالسن)^(٢١) .

وتعدّ شريعة حمورابي وثيقة قانونية مهمة في حقوق الانسان والحريات الاساسية، لانها مثلت اول مدونة وضعية للقانون الجنائي، حددت قواعد العدل والانصاف ، وتضمنت مايرفع الحيف والظلم عن الافراد بشكل عام والمرأة بشكل خاص^(٢٢) .

وفي عهد حمورابي تحسن وضع العبيد ، فاصبحت لهم ذمة مالية مستقلة عن السيد، ولهم حق التقاضي امام القضاء كمدعي او كمدعى عليه^(٢٣) .

وقد تم حصر المواد القانونية لشريعة حمورابي بخمسة ابواب رئيسة تحاكي تبويب احدث القوانين والتشريعات ،تتحدث عن جرائم ضد الإدارة القضائية والملكية ،واحكام التجارة ،واحكام الزواج ،واحكام الاراضي والبيوت، واحكام ذوي المهن ،والزراعة والري ،واحكام أجور العمل وبديل الأيجار واحكام الرقيق.

وقد مثلت هذه القوانين قمة ما وصلت اليه وحدة البلاد السياسية والحضارية، وقد اصدرها في اواخر حكمه وعهده، ووصفت بانها افضل ما وصلت اليه القوانين العراقية القديمة من حيث النضج والصياغة القانونية.

المطلب الثاني: حقوق الإنسان في الحضارات القديمة الاخرى

تعد الحضارات الشرقية كمصر الفرعونية والصينية والهندية، والحضارات الغربية الأخرى والرومانية من الحضارات القديمة التي اهتمت بحقوق الإنسان .

١- الحضارة الهندية والصينية:

الحضارة الهندية: من الهند انطلق بوذا (٥٦٠-٤٨٠ ق.م) في وضع حلولاً عملية للحياة، وانتشرت تعاليمه في الصين واليابان، حيث أكدت تعاليمه على الكثير من مبادئ المساواة والحرية ونشر العدالة، ويرى بوذا انه لافرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير، وكذلك لافرق بين روحيهما، وفي الهند يجردون الاجنبي من اي حماية لكونه لا ينتمي للمجتمع الانساني^(٢٤).

وظهرت الهندوسية في المدة (١٥٠٠- ١٣٠٠ ق.م)، وانتشرت منها الى مناطق ومجتمعات جنوب شرق اسيا، استندت الى قوانينها الخاصة بحقوق الانسان، والى النصوص المقدسة الخاصة بها مثل النصوص التي نسبت الى (براهما) الاله الهندوسي، والتي قامت في جوهرها على قاعدة التمييز في المعاملة بين البشر استناداً الى منشأهم الطبقي، الا ان مبدأ احترام حقوق الإنسان هو الغالب في هذه الديانة، لأنهم يبالغون في تقديس الروح ولكل المخلوقات وحتى الحيوانات، فهي جزء من معتقداتهم القديمة التي تفهم سر الحياة^(٢٥).

ولم يكن للمرأة وفق (قانون مانو) الاهلية اللازمة لاجراء التصرفات القانونية، فالمادة (١٧٤) من هذا القانون تنص: (المرأة ليس لها الحق طوال حياتها ان تقوم باي عمل وفق مشيئتها ورغباتها الخاصة حتى ولو كان ذلك من الامور الداخلية لبيتها)، وتؤكد المادة (١٤٨): ان المرأة تظل تابعة للرجل في بداية حياتها لأبيها، ومن ثم لزوجها، واذا مات الزوج تتبع ابنائها، واذا لم يكن لها ابناء فلعشيرتها الاقربين، أو للاعمام، واذا لم يكن لها اعمام انتقلت الى حاكم الولاية^(٢٦)، وقد وجد في هذا القانون ما يدعو الى انه اهتم ببعض حقوق الإنسان عندما حرّم استخدام الاسلحة التي تسبب معاناة غير ضرورية ومفرطة، بما في ذلك السهام ذات الاطراف الساخنة او المسممة او المعقوفة^(٢٧).

اما في الصين فقد تجلت حكمة (كونفوشيوس ٥٥٠-٤٧٩ ق.م) في نشر العدل والدعوة الى الأخاء العالمي والأمن والسلام بين الناس وشدد في تعاليمه على خدمة الإنسان أياً كان ورأى ان الظلم هو رذيلة الرذائل^(٢٨).

٢- حضارة مصر الفرعونية:

قدمت هذه الحضارة نصوصاً حضارية واضحة عن طبيعة المجتمع الفرعوني فالاله (رع) أله الشمس حينما حكم مصر آنذاك أخضع اهلها لقانون يزعم انه جاء به من السماء اطلق عليه اسم (ماعت)، يقوم اساسه على الحق والعدل والصدق، وفي عهد الاسرة الثامنة عشر تم انشاء مجالس للبلاد تحكم بالعدل وتنادي بضرورة تطبيق معايير العدالة، واصبح من حق كل فرد ان يحتفظ

بجنته بعد موته بعد ان كانت حكرأ على الفراعنة، فسعد بها الشعب فترة من الزمن ولكنهم عندما انحرفوا عنها ذل وشقي وسقط في الفوضى فأندلعت ثورة شعبية فأعيد هذا القانون ثانية. ان المصريين القدامى ينظرون الى ملوكهم نظرة تقديس بوصفهم آلهة، وهذه صفة اساسية من صفات الدولة المصرية القديمة على مر تاريخها عبر القرون،^(٢٩) ، على خلاف ملوك العراق القديم اللذين اعتبروا انفسهم مفوضين من الآلهة، وقد ايد ذلك قول الله تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)^(٣٠).

وكانت طاعة الملك واجبة لأن الفرعون هو مصدر السلطات وسلطته مطلقة لطبيعته الألهية، وعليه ان يكون عادلاً^(٣١)، ولذلك حرم المصريين القدامى من اعتناق اي عقيدة لا تتماثل مع ارادة الاله(الفرعون)، وعقوبة من يتخذ عقيدة اخرى هي الموت او الاتحار الى مرتبة العبودية. والمجتمع المصري القديم يتكون من عدة طبقات على راسها الفراعنة والكهان، والطبقة الارستقراطية، والطبقة المتوسطة، والطبقة الدنيا وهم الفلاحين، وحقوق الافراد تتحدد وفقاً لانتساب لهذه الطبقات^(٣٢)، وهذا التقسيم حرم على الطبقات الدنيا من الزواج من الطبقات العليا وبالعكس.

أما طبقة العبيد فانها تنقسم الى نوعين: النوع الخاص والنوع العام، فهناك عبيد الدولة او الفرعون، وعبيد رجال الجيش، وعبيد الكهنة، وعبيد الاثرياء، ويرتبط العبد بسيده برابطة الملكية التامة، وللسيد كامل حقوق الملكية فيه^(٣٣).

وفي حقبة الدولة الفرعونية الوسطى برز للواقع فكراً جديداً اتجه نحو الاصلاح، وتنصل عن فكرة الوهية الملوك الفراعنة، واقرب ثوراتهم الى التوحيد هي ثورة (اخناتون) الذي يعد اول ملك نادى بوحدانية الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وقلل من سلطة المعابد والكهان، ودعا الى السلام والرحمة والتسامح ونبذ الحروب ونشر المساواة بين الناس في شؤونهم الدنيوية، كما دعا الى تحقيق العالم للجميع من دون تفاوت او تمييز يقول: (ان مساواة الناس في شؤونهم الدنيوية مثل تساويهم أمام خالقهم، والإنسان لا يحيى الا في رحاب الحق والعدل)^(٣٤)، كما ان الملك (حر يكارع) احد حكماء الاسرة العاشرة اوصى بأقامة العدل الموطن للسلام فوق الارض ومواساة الحزين^(٣٥).

وقد ذكر القران الكريم في آياته الكريمة ان حكم الفراعنة كان يسوده الظلم والفساد وانهم قوم فاسقين، بقوله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)^(٣٦).

٣- الحضارة اليونانية

أسهم الفكر اليوناني في ميدان حقوق الإنسان بما قدمه مفكروا الحضارات اليونانية من اسهامات في مجال حقوق الإنسان سلباً او ايجاباً^(٣٧)، فعند فلاسفتهم ان الرق حالة طبيعية وضرورية لتأمين الحياة، ورب الاسرة له السلطة المطلقة على افراد عائلته، والرجل يعقد على الزوجة عقد شراء وله حق طلاقها متى شاء، واسترقاق المديون، واباحة الربا، واضطهاد الاجانب.

ومن هؤلاء الفلاسفة (صولون ٦٤٠-٥٦٠ ق.م) وهو من حكماء اليونان السبعة ، له اصلاحات تشريعية وقانونية وادارية عديدة، تعدّ علامة بارزة في تأطير آدمية الإنسان تأطيراً قانونياً، واهم ماجاء في دستوره حق الشعب دون تمييز بين الاغنياء والفقراء في المساهمة في انتخاب قضائه بموجب محكمة مكونة من ممثلي الشعب (محاكم شعبية)^(٣٨)، وحرّم الربا، والغى حق الدائن بجسد مدينه بسبب عدم الوفاء بالدين، والغى الرهن العقاري ضد فقراء الفلاحين، وحرر رقيق الارض، وحق كل من تم بيعه خارج البلاد من العودة الى بلاده، وافر حق الارث لأفراد الاسرة^(٣٩)، وعندما سؤل صولون هل اعطيت افضل القوانين لأهالي اثينا قال: (اعطيتهم افضل ما يمكنهم تحمله)^(٤٠).

والفيلسوف والمفكر (افلاطون ٤٢٧-٣٤٧ ق.م) الذي نادى بفكرة العدالة باعتبارها الوسيلة التي تعزز روابط المجتمع ، وهي فضيلة عامة وخاصة لانها تحقق الخير للدولة والافراد على السواء^(٤١)، ونادى بوجود اشراك المواطنين في ادارة شؤون المدينة ، واهتم بقيام نوع من الملكية الخاصة المحددة لغرض استبعاد الفوارق بين الاغنياء والفقراء^(٤٢)، الا انه لم يستسيغ ان يتمتع العبيد باي لون من ألوان حسن المعاملة التي كان يناهز بها للاغريق.

ويرى ارسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) : انّ المثل العليا للدولة هي سيادة احكام القانون والعدالة والتعليم، وان الدولة انما وجدت لصالح الانسان ولم يوجد الانسان لصالح الدولة انما ولد الانسان ليُسعد^(٤٣)، غير انه اكد (ان الطبيعة قد قصدت أن يكون البرابرة عبيداً)^(٤٤)، ويؤكد ارسطو ان طبقة العبيد تمتاز بمقدرتها على الانتاج والحماية، وان على العبيد أن يرفعوا عن كاهل الطبقات الاخرى أعباء الحياة المادية، لكي يمكنهم من الارتقاء بقدراتهم المعنوية والثقافية لينصرفوا لمهام السياسة والفنون والفلسفة، مؤكداً ذلك بقوله:(ان البعض أحرار الطبع، وان البعض ارقاء بالطبع)^(٤٥).

وتعدّ هذه الحقبة الزمنية بانها الاكثر تجاوزاً على آدمية الإنسان، تعزز هذا بتبرير ديني بان الاله (زيوس) خلق الإنسان من معادن مختلفة ، فطبقة المواطنين من الذهب الخالص، والاجانب من الفضة، والعبيد من الحديد، فكان لهذا تأثير على التوجه الاجتماعي آنذاك^(٤٦). وهذا الحال طال الاجانب المقيمين في اثينا ايضاً فقد حرّموا من التمتع بالحقوق المدنية والسياسية^(٤٧)، وكان للمرأة ايضاً نصيباً من الحرمان من المشاركة السياسية والمدنية وتولي الوظائف العامة^(٤٨).

لقد حاول اليونانيون ايلاء الإنسان وحقوقه قدرأً من الاهتمام ، إذ يعد الإنسان احد اعظم المعجزات في الدنيا على حد قول المفكر اليوناني (سوفوكليس) (٥٠٠ سنة ق.م) الذي اكد ان : (كثيرة هي المعجزات في الدنيا ولكن الانسان أعظمها)^(٤٩)، وجاء في ملحمة (هوميروس الاوديسية) ان استخدام الاسلحة المسممة يعدّ انتهاكاً جسيماً لمسلك الآلهة وينبغي اظهار الرحمة للأسرى الذين لا حول لهم ، ويجوز دفع الفدية للأسير وتبادلهم والسماح بسلامة المرور واحترامه^(٥٠).

ومما يؤخذ على هذه الحضارة اقرارها الاسترقاق ، وسيادة المساواة الناقصة بالاستناد الى طبيعة التكوين الاجتماعي ، وظهور التقسيم الطبقي الذي نفى فكرة المساواة المطلقة بين الافراد، ومعاملتهم للأجانب معاملة الاشياء ، ويعدون البشر من غيرهم ليس لهم حقوق ، وأن سمو

اليوناني يكفل له اكتساب كافة الحقوق والسيطرة على الاجانب الذين يخضعون اليه خضوع العبيد، ويعدون: (ان الفارق بين اليوناني والبربري هو الفرق بين الانسان والحيوان)^(٥١).
 الا ان الحضارة اليونانية عرفت انعطافة كبرى ازاء حقوق الانسان وادميته في تاكيدها على إنسانية الإنسان من خلال ظهور جماعات كجماعة (الفسطانيون) في اثينا واثارتهم لمفاهيم جديدة لمفهوم حقوق الإنسان دون تمايز بسبب اللغة او الجنس او الدين، ومناقشتهم لأدمية حقوق الإنسان وحقوقه، حيث تمكن الفرد من خلال ظروفهم من السعي لتحقيق الذات متخطياً قوانين وقيم المجتمع السائدة^(٥٢). ومن جراء هذه الجماعة ظهرت المدرسة (الكلبية) والتي دعت الى المساواة بين البشر، وازالة اسباب القوة، ورغبات الانسان الجانحة الي الظلم والاستبداد، فلا اغنياء ولافقراء ولاسادة ولا عبيد^(٥٣)، ومصطلح الكلبية مشتق من الكلمة اليونانية (kunos) والتي تعني الكلب، لإدعاء هؤلاء انهم حراس الفضيلة وينبذون الرذيلة^(٥٤).
 كما ظهرت (الأبيقورية) والتي اضافت بعداً آخر للمناداة بالمساواة بين الناس وأشاعة روح الأخاء، أما (المدرسة الرواقية) فقد نادى بمبدأ الأخوة بين البشر.

٤- الحضارة الرومانية:

شهدت روما تحولات سياسية على مر تاريخها القديم ، وتغيرت اشكال الحكم فيها، من النظام الملكي الى الجمهوري والى الامبراطوري^(٥٥)، أما البنية الاجتماعية فانها تعتمد على ثلاث شروط قانونية فرضها القانون الروماني ، فلكي تكون للفرد شخصية قانونية يجب ان يكون حراً غير عبداً، مواطناً رومانياً غير أجنبياً، رب أسرة ومستقل عائلياً، وعليه فان المجتمع الروماني مقسماً الى اربع فئات هي^(٥٦):

أ- الاحرار : لهم كامل الحقوق.

ب- الارقاء (العبيد): ليس لديهم حقوق بل مملوكين لغيرهم.

ت- العتقاء: كانوا عبيداً فتم عتقهم ، ليس لديهم كامل الحقوق

ث- المشبهون بالارقاء: وهم عبيد الارض ، وهم وسطاً بين الاحرار والرقيق.

وقد استأثرت طبقة الاحرار الاشراف بكافة الحقوق العامة والخاصة، على حساب بقية الطبقات، مما دعى الى قيام طبقة العموم بثورة ضد النظام الملكي حصلت على نوع من المساواة بين الطبقتين^(٥٧).

وعلى اثر ثورة العوام وفي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، عين مجلس الشيوخ لجنة من عشرة اعيان ، قامت بجمع العادات والتقاليد الرومانية السائدة في ذلك العصر، نقشتها على اثني عشر لوحاً نحاسياً، عدت هذه الالواح نواة كل تشريع روماني لاحق، أقرت هذه التشريعات المساواة في الحقوق بين طبقات الشعب الروماني ، وازالة الفروق بين الفقراء والاعنياء ، وحق الملكية ، ومسائل الاحوال الشخصية، واعطاء اليتامى شيء من الحماية من خلال اعطائهم الحق بمطالبة ومحاسبة اوصيائهم، واحكام الزواج والطلاق، وقيدت من سلطة الحكام المطلقة في اصدار الاحكام الشديدة بالنفي والاعدام، وغيرها من الحقوق^(٥٨).

وبعد التحولات السياسية واقامة الامبراطورية الرومانية واتساعها ظهرت العنصرية الرومانية في المجتمع، فكان سكان روما يتمتعون بتشريع خاص بهم ، والشعوب الاخرى لها تشريع

أخريدعى تشريع البرابرة او الشعوب^(٥٩)، كما ظهر التمايز الواضح بين الطبقتين، من حلات البذخ والتترف لطبقة الحكام، الى الفقر المدقع للطبقة العامة. وبعد التطورات في الاحوال الاجتماعية وظهور افكار المدرسة (الرواقبة) تحسنت احوال العبيد ، وصدر قتلون يمنع قتل العبد الذى لا يرجى منه نفع، وتحرير العبد المريض الطريد بعد شفائه، وفتح ابواب المحاكم للعبيد وتعيين قضاة للاهتمام بشكاوى العبيد^(٦٠). ورغم ذلك فان الامبراطورية الرومانية لم تأخذ بالافكار الانسانية المتعلقة بنظام الرق والنظرة الإنسانية لهم، فقد اكدت الاحداث ان افعال الظلم والجور على العبيد استمرت، فيذكر ان احد اعضاء مجلس الشيوخ في الامبراطورية قتل اربعمائة من عبيده دفعة واحدة كونهم قصرورا في حراسته^(٦١).

ومن أهم مفكري الرومان والذين لهم اسهامات إنسانية المفكر (شيشرون ١٠٦-٤٣ ق.م) الذي تأثر بالفكر الرواقي ، وأكد على ان يكون المواطنون جميعاً سواء امام القانون^(٦٢)، وأكد: (يجب ان تكون الحقوق القانونية للمواطنين في الجمهورية الواحدة متساوية)^(٦٣)، وترتكز نظريته على اساس العدالة والفضيلة، وتعتمد على العلم والمعرفة، ويدعو للرجوع الى القانون الطبيعي لكي ينعم الناس بقدر محدد من الكرامة الإنسانية والاحترام بوصفهم بشراً يملكون العقل والطبيعة الاجتماعية ، واكد على ان يكون للعبيد نصيب منها^(٦٤).

أما المفكر الآخر (سينيكا ٤ ق.م. - ٦٥م): فان افكاره تعبر عن صبغة دينية واضحة، ويعتقد ان الطبيعة هي التي تقدم الاساس الذي يعيش في ظله الافراد، وافر بمبدأ المساواة الإنسانية، وان الاختلافات بين السيد والعبد هي مسألة اصطلاح قانوني وان الحظ السيء وحده الذي يجعل الإنسان عبداً^(٦٥)، ونادى بمساواة الافراد جميعاً كونهم اخوة ينتمون الى دولة واحدة هي الدولة العالمية^(٦٦).

المطلب الثالث : حقوق الإنسان في العصور الوسطى

يقصد بالعصور الوسطى الحقبة الزمنية بين العصور القديمة وعصر النهضة، ويرى بعض الباحثين انها تتجاوز العشرة قرون، اتصفت بظهور نظام الاقطاع ، الذي يعتمد على امتلاك الارض واستخدام الفلاحين لانتاج ما يكفي لاشباع سكان المقاطعات ، وهذا النظام يعدّ الفلاحين شبه عبيد عند الاقطاعيين، فيتعرضون للبيع والاستبدال او الطرد^(٦٧).

كما اتصفت هذه الحقبة الزمنية بتحول الكنيسة الى سلطة دنيوية على مقدرات الافراد وحياتهم الخاصة والعامة وبشكل مطلق و فوق الملك بعد انتصارها على الامبراطورية الرومانية ، واستغلت نظرية الحق الإلهي للاستبداد واخضاع الافراد لسلطات مستبدة ،كالكنيسة والامبراطور والحكام الاقليميون والحكام المحليون من امراء الاقطاع^(٦٨).

ومن اهم مفكري العصور الوسطى في الغرب:

المفكر اوغسطين: صاحب الافكار ذات الصبغة الدينية، يؤمن بان الحكومة الرشيدة هي التي تحقق العدالة الاجتماعية، والسلام بين الافراد، يقول: (اذا نزعنا العدالة بالقوة الى حد الحرب ،

متى ما كانت الوسيلة الوحيدة لصيانة الحقوق المهددة لأجل انتظام الحياة المجتمعية.....وطالب ان تسود روح المحبة حتى بين الاعداء المتحاربين)^(٦٩).

وقد اجمع الباحثين على ان آدمية الإنسان قد تدهورت في العصور الوسطى ، فنظام الرق بقي منتشرأ، وبمباركة فلاسفتهم آنذاك ، وحتى اوغسطين أصر على بقاء نظام الرق،وعده نظاماً مشروعاً يؤدي وظائف اقتصادية واجتماعية وسياسية^(٧٠).

لكنه من جانب آخر ساوى بين الاحرار والعبيد عند الله لان الرق للجسد اما الروح فهي حرة طليقة دائماً فهما زملاء للانسانية، وأكد اوغسطين : (ان حالة استيلاء النبلاء على حق الملكية وجب عليهم مساعدة الفقراء)^(٧١).

أما توما الاكويني(١٢٢٥-١٢٧٤) الفيلسوف الايطالي يرى ان الوحدة الاجتماعية والعدالة مهمة في نظره،واعطى الشعب الحق في الثورة على أشكال الحكم الارستقراطي والدكتاتوري المستبد، وطالب بانتخاب الملك من قبل الشعب ، ومجلس ارستقراطي ايضاً منتخب،ويرى الدولة ظاهرة طبيعية ، وهي عبارة عن تنظيم ارتضاه الافراد للحياة معاً، وهدف الدولة هو تحقيق السعادة لافرادها على اسس من الخلق والفضيلة^(٧٢).

واتصفت حالة العرب قبل الاسلام بأنها ذا نظرة انسانية سليمة ، وتوجهات نحو علاقات اجتماعية وانسانية قوية ، منها الوفاء بالعهد والنجدة والكرم والاباء وعزة النفس والعفة والحلم ، والسذاجة البدوية ، الا ان الجهل قد غلب على واقع مجتمعهم ، فظهرت تصرفات مشينة تنكر لها الإسلام عندما ظهر في الجزيرة العربية ، مثل واد البنات خشية العار والإنفاق أو قتل الاولاد خشية الفقر والإملاق،واحياء العصبية القبلية على المثل السائر (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، فالجهل منتشر والخرافات لها وقعها في المجتمع ، والمرأة تباع وتشتري وغيرها، وخير من وصف حال المجتمع العربي آنذاك (جعفر بن ابي طالب)^(٤) أمام ملك الحبشة اثناء الهجرة اليها بقوله:(كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة، ونأكل الفواحش، ونقطع الارحام،ونسبيء الى الجوار،ويأكل القوي منا الضعيف.....)^(٧٣).

ومن ابرز ما تمثلت به قضية الاهتمام بحقوق الانسان في العصر الجاهلي عند العرب ظهور حلف الفضول، على أثر حرب الفجار، ذلك الحلف الذي ناقض روح الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تثيرها، حيث تداعت اليه عدة قبائل من قريش فتعاهدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا مظلوماً في مكة من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه ، ووقفوا ضد الظالم ،حتى تعود له مظلمته،وشهد الرسول الكريم محمد (٢) هذا الحلف ، الذي قال عنه بعد ان اكرمه الله تعالى بالنبوة(لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعي به في الإسلام لأجبت)^(٧٤)، ويعدّ هذا الحلف أول وثيقة اتفاقية لحقوق الإنسان عُرفت في التاريخ الإنساني.